في أدب الكتابة للأطفال

لدى الأميرة مها محمد الفيصل

أصعب أنواع الكتابة وأشدها عسرا الكتابة للأطفال، فهي طريق محفوف بالمخاطر، والانزلاق فيه يؤدي إلى عواقب تضر بجيل بأكمله. ومن يتصدى للكتابة لا يكفي أن يكون كاتبا متمرسا بل يجب أن يكون تربويا وأخلاقيا من الدرجة الأولى، ومؤمنا بالعقيدة النقية التي يجب غرسها في الناشئة منذ الصغر.

انتابني هذا الخاطر بعد اطلاعي على قصص سمو الأميرة مها بنت محمد بن فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، وهي أول أميرة سعودية تكتب الرواية وقصص الأطفال، فقد صدرت لها روايتان حتى الآن.

بقلم : عبدالرحمن لطفي
مصر

وقد حمدت لهذه الأميرة «ذات الهمة» شجاعتها الأدبية وحرصها وإخلاصها في هذا النوع الشائك من الكتابة . فقد بدأت حكايتها مع الكتابة للأطفال حين شعرت بحاجتها إلى قصص نقية تقرؤها لابنتها سارة، ولما لم تجد ما تريد، إلاّ في القلة القليلة، شمرت عن ساعد الجد للكتابة في أدب الأطفال، لأن معظم المؤلفات الموجودة بالمكتبات ترجمات لإنتاج غربي - أجنبي - أسماء الأبطال غربية وحوادثها بعيدة عن حياتنا وتقاليدنا - فكانت الفكرة المهمة والقرار الشجاع بتأسيس مشروع فكري وأدبي وإعلامي مهم يهدف إلى أسلمة وتعريب القصص، ويفتح الباب للمبدعين الذين يستطيعون بمواهبهم الأدبية والفنية أن يساعدوا في تنفيذ الأهداف المطلوبة، ولأنها ذات تجربة واقعية «كأم» وكصاحبة فكرة تؤمن بها، وروائية تستمد أفكارها القيمة من ميراثها العربي والإسلامي ارتأت تشجيع المبدعين (العرب والمسلمين) وركزت على صناعة «الكتاب» وصناعة الشخصيات ورسمها، وكتابة القصص وتصويرها وإخراجها، ومن ثم طباعتها وتوزيعها، وكمثال على أسلوبها في العمل تقول:(كتاب «زلفى وابن المقفع » ينطلق من زاوية طفلة اسمها زلفى تذهب إلى مؤلف كتاب «كليلة ودمنة» المعروف في تراثنا، فتتعرف على المؤلف ويعطيها الكتاب فتقرؤه . والقصة تلخص هذا الكتاب

وتصـــوره من زاوية رؤية الطفلة التي تقرؤه، وعلى نفس النسق عندنا كتاب «مرآة سارة» وهي مرآة عتيقة ومتكلمة جابت أزمانا كثيرة، وتحكي لسارة عن التـاريخ بأسلوب مـشـوق، ومناسب لمستوى الطفل، وعندنا كتاب بعنوان «شكوى الحيوان لظلم الإنسان» يتبنى حـقـوق الحـيـوان، و«أمنيـة السـمكة الذهبـيـة» وهـي سـمكة مـوضـوعـة في حوض ماء صغير ولها أحلام وأمنيات ترويها للقراء من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث وأربع سنوات.

وفي الحقيقة ما أكثر احتياجنا إلى مـثل هـذه الخطوات الهـامـة؟! ورغم مـا تلقاه الأميرة «مها الفيصل» من عقبات وردود فعل متباينة بعضـها مشجع والآخر مثبط للهمم، إلاّ أنها تدرك وبأفق واسع أهمـية رسـالـتـها وقـوة أهدافـها في وعي المجتمع بأهمية كتب الأطفال والقصص عموما للكبار وللصغار في تنمية الوعي وترسيخ المفاهيم والقيم وتشجيع القراءة المفيدة، لذا لن تيأس بل بدأت فعلا في تذوق طعم النجاح لفكرتـها الرائدة فـأنشـأت موقـعا «إلكترونيا» لمشـروعـها الريادي الذي أطلقت عليـه اسم «دار نون لفنون الكتـاب» والموقـع بـعنوان «www.darnoon.com » وبدأت تـأتي طلبات لنشر الكتب التي أنتجتها الدار بلغات متعددة في مـاليزيا وباكسـتان والهند وبروناي وتركيا وهولندا، كمـا تلقت طلبات من فنانين وقصاصين عالميين مهتمين بالتراث العـربي والإسـلامـي يبدون رغبـتـهم في التـعاون مـعـهـا، والحقيقة أنها ترحب دائما بالمبدعين - خصوصا العرب والمسلمين- فـهذه شـمـعـة أولى تولد قوية وتضيء أركانا مهمة في العقل العربي والمسلم.

وفي الوقت الذي يلهث فـيـه الشـبـاب المبدعـون خلف الإنتـاج الأدبي الغـربي البـعـيـد عن التـراث العـربي والإسـلامـي، إلاّ أن الأمـيـرة «مـهـا الفـيـصـل» وفي إطار بحثها عن مبدعين حصلت على ملف يحتوي على أعمال لفنان سعودي شاب يدرس العمارة في جامعة الملك فهد للبـترول والمعادن في الظهران، واكتشفت قـوة موهبـتـه

ومـهـارته الفنية ورغبـتـه في إخـراج شخصية عربية اسمها «قفار» تحمل سـجـادة صـلاة على ظهـرها، فكان الملتـقـى الفكري وتوارد الخـواطر ووحدة الأهداف في ابتكار شخصية إسلامية بطولية، وكان التعاون بينهما جيدا، أثرى المكتبة العربية بقصص يبحث عنها الجميع، فـخرج الجـزء الأول من مـسلسل قـصـة «قـفـار» بعنوان (قفار .. أميرة النهر وفرسان بئر السيسراء)، وقصة «سيف بن ذي يزن» وقصة «زلفى وابن المقفع» التي تعاون فيها رسامون آخرون، والشاب «مهند شونو» مهندس يحاول تأصيل أبطال وأحداث القصص التي يسـهم فيـها، بعـدما قـرأ كثيـرا قـصـصـا مـتـرجـمـة تتناقض مع الدين الإسـلامي الحنيف، فبدأ يفكر في رسم شـخـصـيـات مـشـتـقـة من التراث والبيئة العربية. وعن مدى استفادته من التعاون مع الأميرة «مها الفيصل» يقول:

(بعد أن بدأت التعاون مـع الأميرة «مـها الفيصل»، طورت من أسلوبي في الرسم، فصرت أرسم بالرصاص أولا، وعندمـا نتـفق على اللوحـات أحـبـرها بالفـرشـاة والحبرالأسود ثم أصورها ضوئيا لتدخل الكمبيوتر .. وحاليا أصبحت متفرغا بالكامل لهذا العمل، وهذا شيء غريب في العالم العربي)*!!

ورغم الصـعـاب التي يواجـهـهـا «مـهند» إلاّ أنه أحب عمله، وبتشجيع من الأميرة «مـها» أيضا ومساعدتها لكل الموهوبين والمبدعين في وقت يكثر فيه التنافس والصراع، بل تضرب مثلا لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان الواعي بهموم وقضايا قومه، وأخطرها بالطبع القضايا الفكرية والتربوية، والتي أعطتنا هويتها العربية والإسلامية منزلة رفيعة بين الأمم، فكنا خير أمة أخرجت للناس، ولن يعيدنا إلى سيرتنا الأولى كأمة ذات حضارة إلاّ التمسك بآدابها ولغتها التي نزل بها القرآن الكريم، وما يدعونا إليه من علم ومعرفة وإيمان عميق، وهو ما عبرت عنه مـها بنت محمد الفيصل بن عبدالعزيز فيما خطه يراعها لأطفالنا ■

* راجع حوار د. خالد باطرفي مع الأميرة مها الفيصل بجريدة المدينة ملحق الأربعاء ٢٠ / ٧ / ١٤٢٤ هـ / الموافق ١٧ / ١١ / ٢٠٠٣ م.